

القسم الخامس

في نوادر الخليفة هارون الرشيد

إبراهيم الموصلي عند الرشيد

دخل إبراهيم الموصلي يوماً على الرشيد فأنشده:
 وأمرة بالبخل قلت لها اقصرى فليس إلى ما تأمرين سبيلُ
 فعالي فعال المكثرين تجملاً ومالي كما قد تعلمين قليل
 فكيف أخاف الفقر وأحرم الغنى ورأى أمير المؤمنين جميلُ
 فقال: لله أبيات تأتينا بها ما أحسن أصولها، وأبين فصولها، وأقل فضولها، يا غلام أعطه عشرين ألفاً، قال والله لا أخذت منها درهماً، قال ولم، قال لأن كلامك يا أمير المؤمنين خير من شعري، قال أعطوه أربعين ألفاً.

الرشيد والمفضل الضبي

قال الرشيد للمفضل الضبي: قل ما أحسن ما قيل في النوائب ولك هذا الخاتم الذي في يدي، قال قول الشاعر:
 ينام بإحدى مقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظان نائمُ
 فقال: ما ألقى هذا على لسانك إلا ذهاب الخاتم ورماء إليه فاشترته أم جعفر بألف وستمائة دينار وبعثت به إليه فقالت قد كنت أراك تعجب به فألقاه إلى الضبي وقال: خذه وخذ الدنانير فما كنا نهب شيئاً فنرجع فيه.

ابن الجامع والجارية والرشيد

قال ابن جامع: انتقلت من مكة إلى المدينة لشدة لحقتني فأصبحت يوماً وما أملك إلا ثلاثة دراهم في كمي فإذا بجارية على كتفها جرة تسعى بين يدي وتترنم بصوت شجي وتقول:

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا
وذاك لأن النوم يغشى عيونهم
فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
سراعاً ولا يغشى لنا النوم أعينا
إذا ما دنا الليل المضرب بذى الهوى
جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلما
نلاقى لكانوا في المضاجع مثلنا

قال: فأخذ الغناء بقلبي ولم يدر لى منه حرف فقلت يا جارية ما أدرى أوجهك أحسن أم غناؤك، فلو شئت أعدت، قالت حباً وكرامة ثم أسندت ظهرها إلى جدار وانبعثت تغنيه فما دار لى منه حرف فقلت لها لو تفضلت مرة أخرى، فارتدت إلى الوراء وقالت أليس عجيب أن أحدكم يجيء إلى الجارية عليها الضريبة فيشغلها، فضربت يدي إلى الدراهم الثلاثة فدفعتها إليها فأخذتها وقالت تريد منى صوتاً أحسبك تأخذ به ألف دينار وألف دينار وألف دينار ثم غنت ففهمته، ثم سافرت إلى بغداد فأل الأمر إلى أن غنيت الرشيد بهذا الصوت فرمى لى بثلاثة أكياس فتبسمت فقال: مم تبسمت فأخبرته خبر الجارية فعجب من إصابتها.

هارون الرشيد والعباس بن الأحنف

قال هارون الرشيد في الليل بيتاً وأراد أن يشفعه بآخر فامتنع القول عليه فقال: على بالعباس بن الأحنف، فلما طرقت دعر وخاف أهله، فلما وقف بين يدي الرشيد قال: وجهت إليك لبيت قلته ورمت أن أشنعه فامتج القور على، فقال يا أمير المؤمنين دعنى حتى ترجع نفسى إلى فإنى قد تركت عيالى على حال من القلق عظيم ونالنى من الخوف ما يتجاوز الحد وألوصف فانتظر

هتية نم أنشد الرشيد:

حناقٌ قد رأيناها لم نر مثلها بشراً

فقال العباس:

يزيدك وجهها حسناً إذا ما زدتها نظراً

فقال الرشيد ردى فقال.

إذا ما الليل مال عليـك بك بالإظلام واعتكرا

ودجّ فلم ترَ قمرأ فأبرزها ترى قمرأ

فقال الرشيد: قد أزعجناك وأفزعناك وأقل الواجب أن نعطيك ديتك فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه

الرشيد ويحيى البرمكي

كان يحيى يساير الرشيد يوماً فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين عطبت دابتي فقال: يعطى خمسمائة درهم، فغمزه يحيى، فلما نزل قال: يا يحيى أومأت إلى بشيءٍ حينما أمرت بالدرهم فما هو؟ فقال: مثلك لا يجرى هذا المقدار على لسانه إنما يذكر مثلك خمسة آلاف ألف، عشرة آلاف ألف، قال: فإذا سئلت مثل هذا كيف أقول؟ فقال: تقول يشتري له دابة يفعل به فعل نظرائه.

الرشيد وهيلانة وابن الأحنف

كان الرشيد شديد الحب لهيلانة وكانت ليحيى بن خالد فاستوهبها منه حتى غلبت على قلبه فأقامت عنده ثلاث سنين ثم ماتت فوجد عليها وجداً شديداً وأمر العباس بن الأحنف أن يرثها، فقال فيها:

يا من تباشرت القلوب بموتها قصد الزمان مضرتى فرماك
أبغى الأنيس فلا أرى لى مؤنساً إلا التردد حيث كنت أراك

ملكٌ بكاك وطال بعدك حزنه لو يستطيع بملكه لفداك
يحمى الفؤاد عن النساء حفيظة كي لا يحل حمى الفؤاد سواك
فأمر لهُ بأربعين ألف درهم لكل بيت عشرة آلاف درهم وقال لو زدت
لزدناك .

الرشيد وبركة زلزل

وعمل ببغداد بركة للسبيل وكان يضرب بها المثل وأنشد نبطويه يصفها:
لو أن زهيراً وامراً القيس أبصرا ملاحه ما تحويه بركة زلزل
لما وصفا سلمى ولا أم سالم ولا أكثر ذكر الدخول فحومل

هارون الرشيد والكسائي

قال الكسائي: حضرت عند الرشيد فأخرج إليَّ محمد الأمين وعبد الله
المأمون كأنهما بدران فقال لي: كيف تراهما؟ فقلت:
أرى قمرى أفق وفرعى كرامة بزينهما عرق كريمٌ ومحتدُ
سليلى أمير المؤمنين وحارزى مواريث ما أبقى النبي محمد
يسدان أنفاق النفاق بهمة يؤيدها حزم ورأى وسؤدد
حياةٌ وخصبٌ للمولى ورحمة وحرب لأعداء وسيف مهند
ثم قلت: فرع زكى أصله وطاب غرسه وتمكنت فروعه وعذبت مشاربهُ
أداهما ملك أغر نافذ الأمر واسع العلم عظيم الحلم، أعلاهما فعلوا سما
بهما فسموا فهما يتطاوران بطوله ويستضيئان بنوره وينطقان ببيانه، فأمتع الله
أمير المؤمنين بهما وبلغه الأمل فيهما.
